الخطيب القدير

الخطيب القدير هو الذي يملك زمام المبادرة، فلا يترك الأرواح تتفلت من قبضته، وهو الذي يركض في ميدان الألفاظ، يتخير ما يشاء ويهجر ما يشاء، رابط الجأش، قوي القلب، واثق النفس، ثابت القدم، هادىء الأعصاب، ترتجف القلوب من صولته، وقلبه في أمان، وتضطرب الأرواح من نبراته وروحه في حرز مكين.

والخطيب القدير كالسيل الزاحف إذا صادفته هضبة طمّها، وارتقى عليها، وإذا قابلته حفرة ملأها، وعدّى عنها، وإذا واجه صخرة مال عنها ذات اليمين وذات الشمال.

والخطيب القدير يهدأ فتسكن الأسماع، وتخفت الأرواح، ويثور فيغلي الجو، ويضطرب الشهود، يستفهم واجماً كالأسد المتأمل، ويتعجب منذهلاً كالشاعر الواله، ويستعطف في العبارة كالفقير اللحوح، ويأمر كالسلطان المطاع، ويرثي في مقام الرثاء، فينسى الناس الخنساء، ويعزّي فيذهب حر المصاب مع برد العزاء.

والخطيب القدير يستظهر الآيات البينات فيلبس بتيجانها هامات خطبه، ويرصّع بدررها حلل وعظه، ويحفظ الحديث الصحيح فيطرز وشي كلامه بجوامع كلمه ﷺ ويربط على قلبه بأنفاس المعصوم، عنده الأدب مادته وعصاه بردته، فالأبيات على طرف لسانه يطرّب ويحمّس ويتفنن، وعنده القصص ينشرها بسرد عجيب وطرح غريب فكأن السامع عاشها، والغائب حضرها، تقرأ الأحدوثة فلا تحركك، ولا تعجبك،

ولا تستهويك، وتسمع الخطيب المصقع يتلوها على الأسماع فتصل شغاف قلبك المدنف، فتشعل فيه جذوة من الحرارة والحماس والجاذبية.

الخطيب القدير يصف الليل وهو في الظهيرة فتحس أنك تحت أمال الدجى، وتحت أجنحة الدياجير، ويصف النهر فتلمس ثيابك أن تبتل وأنت ناء عن النهر، ويصف جيش الأعداء البعيد فتنظر إلى مطالع الجبال كأن الطلائع أقبلت والكتائب دنت، يدعوك للجائعين باذلاً؛ فترمي الخبزة من يدك طائعاً ويناجيك للعراة منجداً؛ فتخلع ثوبك مسعفاً راضياً.

نحن والناس

غالب الجلوس مع الناس يبعثر الجهد ويشتت القلب ويضيع الوقت ويمزق ثوب العمر، والجلوس مع الله أنس للخاطر وراحة للقلب وزيادة للأجر ومحو للسيئات وبركة في الزمان.

الحاجة إلى الناس فقر حاضر وهمّ دائم وذلة ثابتة ورقّ جاثم، والحاجة إلى الله وسؤال الملك القدوس غنى مبارك وعبودية وعزّة وشرف وعلو وإنقاذ للنفس من عبودية البشر، الثقة بالناس عنوان خور الطبع وفوت الحزم وضعف اليقين وقلة المعرفة، والثقة بالله ركون إلى القوة التي لا تغلب والركن الذي لا يضام والكنف الذي لا يرام، الاشتغال بالناس ملهاة للنفس عن الواجب ومضيعة للعمر في بيداء التوافه وصرف للزمان فيما لا ينفع، والاشتغال بالله بهجة للقلب وراحة للروح وأمان للنفس من نوازع الشر وبستان للعارفين فيه يأنسون

وينعمون، ذكر الناس قسوة للقلب وصرف للساعات ومجلبة للسيئات ومحق للحسنات، وذكر الله شفاء من الهموم والغموم ونجاة من الشكوك وجنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، فذكره نعيم الأبرار، وجنة الأخيار، وروضة الصالحين، وقرة عيون المؤمنين.

النبع الأول

علماء السلف خاصة في القرون الثلاثة الأول كانوا يتعلمون القرآن والسنة ويجتهدون في العمل من عبادة وزهد وصلاح وخشية، أما نحن فكثرت الفنون والمعارف، وقل العمل، وتشعب القلب وزادت الهموم والغموم، لماذا لا نعود إلى ما كان عليه سلفنا، ونعود إلى أصل النبع، وهو قال الله وقال رسوله ﷺ.

أغلى دقائق العمر

اعلم أن أغلى دقائق العمر هي دقائق الليل، فإذا تهجدت فأطل صلاتك، وأكثر ذكر مولاك، وتبتل إليه تبتيلا واحمده على أن أيقظك وغيرك نائم

يا ليلة الجزع هلا عدت ثانية ... سقى زمانك هطال من الديم

المدارج

قرأت كتاب مدارج السالكين لابن القيم فتعبت نفسي، ثم قرأت عن بعض العلماء أنه يعجبه ما فيه، لأن فيه دراسة خواطر وواردات

وأشياء لم يتعرض لها الصحابة، وهي أقرب إلى طريقة المتصوفة، فرحم الله رجلاً أقبل على القرآن والحديث وما والاهما، وأعرض عن بنيات الطريق.

لا حدّ لمطالب النفس

النفس لا حدَّ لها في المطالب فمن لبَّى لها كل مطلب وقع في المهالك، فلو فتح لها باب المباح لطلبت مباحاً آخر حتى إذا انتهت المباحات وقع في المعاصي، ومن سمح لها في معصية طالبته بأخرى حتى لا تترك معصية صغرت أو كبرت إلا طالبت بها لأنها أمارة بالسوء وهي تتطلع وتتشوق إلى الشيء الذي منعت منه حتى يصبح أحب لديها من المسموح به. فإن أردت صلاح حالك فلا تهمل لها الحبل ولا تطاوعها في رغبتها فإن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، وقد كان كثير من الصالحين يمنعون النفس كثيراً من المباحات خوفاً من أن تقع في المكروهات والمحرمات، فيا من أراد النجاة قف لنفسك بالمرصاد فإن لها مداخل عجيبة وأساليب غريبة في الإغراء ولن يصلح لك حال ما دام أنك تستجيب لها كلما طلبت وسوف تبكي من الندم إذا أوقعتك في المهالك، فعليك نفسك والله أعلم.

المـــوت

هو الوقوف على ساكن، وإعلان الخاتمة، ونذير النهاية، الموت

مخلوق غامض، شجاع يتسلق الجدران، ويصعد الحيطان، لا يحتمى منه بقلاع، ولا يمتنع منه بحصون ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ واقف في الطريق بالمرصاد ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ زائر لا يستأذن، وضيف لا يعرف المجاملة، الناس عنده سواسية، الثري واسع الغنى كالفقير المتهالك، ليس له وقت في الزيارة معلوم، وليس له زمن في اللقاء مفهوم، نبأه غريب، ويدلف في السحر، ويقدم في الظهيرة:

يـا نـائـم الليـل مسـروراً بـأولـه إن الحـوادث قـد يطـرقـن أسحـاراً

الموت.. ينزل الراكب من على ظهر البعير، ويرجِّل الفارس من على صهوة الفرس، ولا يرجىء الجائع حتى يشبع، ولا الظامىء حتى يروى، ولا النائم حتى يفيق، ولا المسافر حتى يقيم ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ قس بن ساعدة عنده كباقل، وحاتم لديه كمادر، وعنترة في حكمه كأبي حية النميري، قدم على الخليل والنمرود، وزار موسى وفرعون، واختطف بلالا وأمية بن خلف.

إذا تمت ليلة العرس، وحفلة الزواج، ومهرجان الأفراح، وضرب دف الطرب، ولعلع صوت الأنس، وأضيئت مصابيح السرور فاجأ الحفل بقبض العريس، وأبكى الحضور، ونغَّص السمر، وكدَّر السعادة، وجدد العويل وقلب الفرح إلى مناحة.

إذا اجتمع الوالد بولده، وأنست الأم بأبنائها، وطاب اللقاء، وحصل الوصال، وعمَّ البِشْر، دخل فجأة فأخذ الأب، والتقم الأم

وحمل الابن ليضعه في حفرة.

الموت.. يأخذ الطفل وفمه في ثدي أمه، وهو يصيح وأمه تولول وأبوه ينوح، فلا يرحم ولا يقف ولا يراجع نفسه، إذا حاز التاجر تجارته وأحرز بضاعته وجمع ماله وعدده، وظن أن ماله أخلده، قفز عليه الموت من نافذة القدر، فوضع خده على التراب، ونثر دنانيره، ومزق أكياسه، وعبث بدوره، وعطل قصوره، إذا وَلِيَ صاحب المنصب منصبه، وسعد بمنزلته، قلب كرسيه وسحب سريره، فحول الهناء عزاءً والفرح ترحاً، والعطية بلية.

إذا استوى الشاب على سوقه، وصلب عوده، وقوي متنه، واهتزت كتفاه، وترنح عطفاه، طرحه الموت أرضا، فبقر بطنه، وجدع أنفه، وفقأ عينيه، ودق جمجمته، وحطم عظامه، وهلهل أسنانه، ومزق لسانه.

الموت.. يصرع الشجاع والسيف في يده، وخوذته على رأسه، لا الكريم يشفع له جوده، ولا البخيل يمنعه إمساكه، ولا المقدام يذود عنه بأسه، ولا الجبان يحصنه فراره.

الموت.. هذا لا يستحي من الكل، ولا يرهب الجميع، ولا يوقر الأحياء: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ يموت الكل إلا واحد، ويذهب الجميع إلا واحد ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

الموت.. قذيفة لا يدرى من أين تأتي، مرة من فوق ومرة من تحت، وتارة من اليمين، وأخرى من اليسار.

الموت.. ينزع العينين، ويشدخ الشفتين، ويفصل الكفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من الكتفين، فمهمة الموت نثر المنظوم، وهدم البناء، وطمس الجمال، وتفريق المجتمع.

الموت.. دمع وعويل وأسى ولوعة وأسف.

الموت.. وداع إجباري وهجوم خاطف، واقتحام مأساوي، هدد الله بالموت اليهود فتعلقوا بأذيال البقاء، وناداهم ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ احتمى الملوك بالجنود فنجوا إلا من الموت، اتفق المريض والطبيب وصانع الدواء وبائعه وصارفه على خطة يسلمون فيها من الموت، فماذا حصل؟

مات المداوي والمداوى والذي جلب الدواء وبائعه ومن اشترى.

الموت.. لا شماتة فيه لأنه عام لا خصوص له، مطلق لا يقيد، حر وليس بعبد، أنزل آل كسرى في الحفر، وسحب سيف ذي يزن من غمدان، وبطش بالمناذرة، وداس الغساسنة، هجاه الشعراء فجعلهم أثرا، ووصفه الأطباء فقتلهم بعقاقيرهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾.

حفظ الوقت من صفات الناجحين

الذي يريد معالي الأمور، يطلب المنازل الرفيعة يحرص على أنفاسه ويشح بدقائق عمره أن تذهب سدى، فهو دائم اليقظة على وقته

يصرفه فيما ينفعه يملؤه خيراً يندم على ما فرط من اللهو فيعود مستدركاً ما فات في الجد فيما بقي فهو بين عمل الآخرة ترفع به درجاته وبين عمل دنيوي نافع مفيد تعظم به مكاسبه. وكثير من الناس لا همّ لهم من ضياع الوقت ولا حزن من صرف الزمان، أحدهم يجلس أمام بيته يشاهد المارة غادين رائحين وهو مذهول مدهوش وآخر يجلس مع الباعة يضاحكهم ويمازحهم وكأن الأمر لا يعنيه والمسألة لا تهمه ومنهم من صرف جل وقته في لعب الكرة ومشاهدة الكرة وقراءة أخبار الكرة وسماع أنباء الكرة ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ فيا لبساً فهم الخطاب! ويا واعياً عرف المقصد من الحياة! قم من نوم الغفلة استيقظ من سكار الهوى بايع قلبك على الجد بيعة الرضوان تحت شجرة العزيمة لعل الله أن ينزل عليك سكينة ويثيبك فتحاً قريباً.

الحياة قصيرة فلا تقصرها أكثر

بعض الناس عنده مقدرة عجيبة في تكدير خاطره، وجلب الهم والغم لنفسه، ويجيد فن الخيالات الفاسدة لذهنه، فكم يصفو له من هذه الحياة إذا كان دائماً يتذكر الماضي بآلامه، ويتوقع حوادث المستقبل، وتمرضه كلمة مؤذية سمعها من حاسد، ويحقد على كثير غمطوه حقه، ويغضب على زوجته المسرفة ويثور على ابنه لمخالفته أمره، ويحزن على مال سبق أن فقده. وهو خائف لأنه يظن أن مرضاً ما سوف يصيبه، ويستمر في جمع هذه القائمة من المصائب والأحزان.

فيا من أراد السعادة والراحة لا تقصر حياتك فهي قصيرة أصلا، عش في حدود يومك، ولا تبك على ما فات، واترك المستقبل حتى يأتي، ولا تلق بالاً لكلام الحسّاد، وتوكل على الله، فهو حسبك، وكفى هموماً وغموماً وأحزاناً.

ذباب طمع

رأيت أناساً أقبلت عليهم الدنيا بمال أو منصب فأقبل عليهم الناس ففرحوا بها وظنوه قبولاً من الله وأحسنوا ظنهم بالناس ومدحوا العامة وركنوا إليهم ووثقوا بهم ووقفوا معهم وقضوا حوائجهم فلما افتقر صاحب المال وعزل صاحب المنصب طاروا عنه وهجروه وتركوا زيارته ونسوه فأساء ظنه في الناس ومقتهم وعجب من جحودهم ونكرانهم. ولو عرف السبب لبطل العجب لأن الناس من أول مرّة لا يجتمعون على شخص في الدنيا إلا لمنفعتهم فإذا فقدوا هذا المنفعة فهو عندهم كقطعة خشب لا قيمة لها فافهم هذا.

خير الرجال

خير الرجال من حفظ الحدود بينه وبين ربّه واقتصد في عبادة ربّه مع سلامة صدره على إخوانه المؤمنين وطهارة لسانه من كل ما يشين ومطعم حلال، فإذا اجتمعت هذه الخصال مع حسن خلق فقد تم فلاح هذا العبد وارتفع قدره لأن من الناس من يكثر التعبد ثم يتعدى حدود الله في بعض الأمور فلا تفي حسناته بسيئاته ومنهم من يقوم الليل ثم

يغتاب في النهار فيهدي ثواب قيامه على من اغتابهم كاملاً مكمّلاً، ومنهم كثير الأوراد والنوافل ولكن صدره مملوء حسداً وحقداً على إخوانه المؤمنين. ولكن من صفى سريرته وأصلح ما بينه وبين ربّه واجتنب الحرام ولو كان مقلاً في النوافل فهذا والله العبد الصالح، واعلم أن الطاعات يفعلها البر والفاجر ولكن لا يترك الحرام كله إلا صدِّيق ولذلك صح في الحديث: «اتق المحارم تكن أعبد الناس».

قلة العقل

لنقصان العقل علامات يعرف بها، منها تقديم أمر الدنيا على أمر الدين فإن من يفعل هذا الفعل مجازف بحياته وآخرته لا يدرك مصلحته، ومنها عقوق الوالدين فهو يدل على اللؤم وذهاب الوفاء لأن هذا جحد للإحسان وكفران للجميل، ومنها الاستخفاف بالسلطان وهذا من الحمق والسخف وعدم التفكر في العواقب ويستدل على قلة العقل بنشر الأسرار وإفشاء ما يحذر منه والثقة بكل أحد وقد وجدنا أناساً ظاهرهم الصلاح والخشوع فإذا هم السم الزعاف وعرفنا من كنا نظنه من صالحي الأولياء يبيع ذمته بثمن بخس وعرفت رجلاً كنت أحسبه قدوة يحلف أيماناً مغلظة على أمر بان فيه أنه كاذب وممن عرفنا من يبيع دينه بعرض من الدنيا ونحن من هذا العالم المظلم فعفوك يارب.

اعتزل لتسلم

في العزلة.. السلامة من مداهنة الظالم ومداراة الجاهل فإن من

الناس من لا يقبل منك إلا الموافقة على كل ما يريد والمدح لكل ما يفعل والثناء على كل ما يعمل فإن أظهرت نقده وأعلنت مخالفته فالويل لك منه فسلامتك في البعد عنه والنجاة بدينك ويكفيك الخبر الصحيح «كف عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك».

وفي العزلة.. السلامة من شح البخيل فإن من احتجت إليه من الناس صغر عنده قدرك وخف لديه وزنك وذهبت عنده قيمتك فقد ذهب الكرام ومات الأجواد وخلت الديار من الأبرار إلا من ندر فلا تحصل على مال أحد حتى بالقرض حتى تبيع فيه ماء الوجه، وبهاء الطلعة، وعزة النفس وكرامة المقام ثم يمن عليك ما وهب وذكرك ما أعطى وتبقى في رقه طوال العمر.

وفي العزلة.. السلامة من الحمقى ومن في عقولهم خلل، وفي ضمائرهم علل، وفي أخلاقهم ملل فقل أن تجد رزينا عاقلا أو شهماً فاضلا فأغلبهم مضيع للأوقات منفق للساعات لا في أمر دين ولا دنيا، يسأل عما لم يقع ويغفل عما يحتاج إليه قصر فيما علم وبحث عما جهل أخفق في أمر آخرته وغلط في أمر معيشته فأحب ملء أوقاته في قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال وضياع العيال ومصاحبة الجهال.

وفي العزلة.. السلامة من قرين السوء مزين الباطل محبب الفاحشة والداعي إلى المعصية والبريد إلى الرذيلة بحاله ومقاله وفعاله فإن بعض الناس يفسد في مجلس واحد ما لا تصلحه عشرة مجالس

والجرباء تعدي الصحيحة، والناس أميل شيء للجليس والنفوس أمّارة بالسوء والقرين يضعف مع قرينه فالتحصن بالعزلة في مثل هذا واجب شرعي وأصل عقلي.

وفي العزلة.. الحفاظ على المال وأعوذ بالله أن أكون داعياً إلى البخل فإنه في الخلطة قد يحصل صرف المال على البطّالين والعطّالين والفارغين في ضيافات تسمى كرماً وجوداً وهي في الحقيقة إسراف وللمال إتلاف وبالوقت إجحاف، فإن من داخل الناس ألجؤوه إلى مناسباتهم وولائمهم وضيافاتهم فإن استلف وما قضى قالوا بخيل جاحد، بالخير جامد، وللمعروف فاقد وإن سايرهم وباراهم ضيع ماله وما كسب، وأنفقه شذر مذر لا في حق ديني ولا في مقام دنيوي، فلا هو متصدق فيؤجر، ولا صاحب معروف فيذكر.

وفي العزلة.. الامتناع من أكل الحرام فإن المطاعم مدخولة وأبواب الربا والغش مبذولة وكثير من الأغنياء لا يتورع في المطعم ورب لقمة أورثت ندماً ووجبة خلّفت سقماً فقد تأكل رغيفاً عند صاحب دخل حرام فيقسو قلبك ويعوج لبّك وتدعو فلا تجاب وتسأل فلا تعطى لأن إجابة الدعاء مرهونة بحل الغذاء.

فضل العلم

مسكين الذي لم يتعلم ومسكين الذي لم يقرأ الكتب فليس لديه جديد ولا في حياته عجيب يغفل كثيراً ويسهو طويلاً لأنه لم يقرأ آية تهزّه أو حديثاً يوقظه أو قصة تعجبه أو بيتاً يطربه أو مثلاً ينفعه، أمّا

طالب العلم فهو في مدد دائم وفي خير متواصل معه القرآن يشجيه ويحييه ومعه السنة تدربه وترعاه ولديه التأريخ يعظه وينبهه، عنده الأدب يقوّمه ويروضه، حياة طالب العلم كالبستان أشجار وأزهار وأنهار وثمار، حياة العامي الجاهل كالصحراء الجرداء القاحلة المقفرة الموحشة ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فاطلب العلم واسأل العلماء وطالع الكتب لتعيش الحياة السعيدة المجيدة والعمر المبارك ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

كيف تفرح بعثرة المسلم ؟!

يجب علينا أن لا نفرح إذا عثر المسلم ولو كان عدوّاً لنا، لأن الإخوة الإسلامية لا زالت قائمة ولأنه لا يُفرح إذا عُصي الله تعالى ولأن معاصي المسلمين شين وعيب على أهل الإسلام ولأن أعداء الإسلام يفرحون إذا أخطأنا فكيف نشاركهم في فرحهم بأخطائنا ثم إن من يشمت بأخيه المسلم ولو عاداه جدير أن تكون عاقبته وخيمة، فاسأل الله لك ولإخوانك العافية، وابك على خطيئتك، وامسك عليك لسانك، وفينا من العيوب ما يشغلنا عن غيرنا لو تدبرنا ولو خفنا الله لبكينا على أنفسنا.

صيد الخاطر

من أجمل وأعجب ما قرأت كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي وهو عندي أنفع كتب هذا الرجل الموسوعي العجيب، وكتابه هذا

لا يفارقني لعدم تكلّفه وصدقه في عرضه وسعة تجربة الرجل ودقة نظره وسداد رأيه، فالكتاب ثمرة عمر هذا الإمام وخلاصة حياته، فأوصيك بتكراره والرجوع إليه فهو ممتع جذّاب ليس فيه حواش ولا تكلف ولا تزويق عبارة، لا تشدق في لفظ بل فيه إشراق لفظ وسلاسة منطق وقوة أسر مع ما فيه من روح متدفقة من المؤلف ومعاناة صادقة وتجربة طويلة بين الناس والكتاب، ولابن الجوزي ما يقارب ألف مصنّف ما بين صغير وكبير ولكن كثيراً منها نسي وبعضها هجر وبقي صيد الخاطر يعيش مع الناس، يُحدث طلبة العلم ينتقل معهم أينما حَلُّوا وأينما ارتحلوا وقد علَّق عليه جمع من طلبة العلم وخرج بطبعات شتى ومع هذا ينفد من الأسواق ويقبل عليه بشغف كأنَّه أُلِّف اليوم فياله من كتاب أحيا ذكر مؤلّفه وسار مسير الشمس ونفع أمماً لا تحصى فمن أراد التأليف فليؤلف مثله ولينسج على منواله وليحذو حذوه رحمه الله وجزاه خيراً:

أحبُّك لا تفسير عندي لصبوتي أفسرُّ ماذا والهوى لا يفسرُّ

ولها حق أيضاً

كيف يطلب الواحد منا من زوجته أن تتزين وتتطيب وهو لا يفعل ذلك، أليس هذا من الحيف، تجد بعضهم شعث الشعر، جهم المحيا، مبعثر الهيئة، لا عهد له بالطيب، ولو وجد ذلك من زوجته لثارت ثائرته واشتد غضبه. إن من حقوق العشرة الزوجية التجمل للزوجة وحسن الرائحة والاعتناء بالجسم حتى يتم الوفاق وتستمر الألفة ويبقى

الود:

خـذا مـن صبـا نجـدٍ أمـانـاً لقلبـه فقـد كـاد ريّـاهـا يطيـر بلبِّـه

قلة الفقه في الدين

حججنا مع تجّار، فكان بعضهم يسأل عن تساقط شعره وإزالة ظفره إذا انكسر وهو محرم، وعلمت أن هذا السائل يتعامل بالربا وربما تهاون بالزكاة، فعجبت من قلة فقهه وحرصه على صغار المسائل وإهماله أصول الدين، ومثله كمثل أهل العراق قتلوا الحسين بن علي وسألوا ابن عمر عن قتل بعوضة في الحج، مثل هذا كثير في الناس فهم يحرصون على دقائق المسائل وأشدّهم إهمالاً لكبارها، ثم إن الهوى يدخل على العبد في التزين كثيراً، فكثير من التجار لا يسأل عن الزكاة ولا الربا لأنه قد يخالف هواه ولكنه يسأل عن صيام النوافل وتلاوة القرآن، وكثير من السلاطين لا يسأل عن حل الأموال وإقامة الحدود لأنه لا يروق له ذلك فيسأل عن كفارة اليمين ونحو ذلك، وبعض الوعّاظ يساير الناس في أهوائهم فتراه إذا وعظ قوماً تجاراً ذكر لهم فضل جمع المال وما ورد في مدحه ومنافعه وإذا وعظ سلطاناً ذكر له ما يناسبه وربما لوّح بمدحه بآيات وأحاديث يفهم منها الثناء على السلطان، وهذا من تعلق الواعظ بالدنيا، ولذلك لا يجعل لكلامه قبولاً ولا ينتفع بقوله، فمرض اتباع الهوى خطير والتنبّه له صعب ورب ناسك في الظاهر فاجر في الباطن وليست المسألة بالتخاشع الظاهري وطأطأة الرأس والتماوت في المشية ولكنه صدق مع الله وموافقة القلب

اللسان وحجز النفس عن الهوى.

أدب الاتصال

للاتصال بالهاتف أدب مثل أدب الزيارة، فينبغي أن يكون الاتصال في وقت مناسب فلا يقع في وقت نوم أو راحة أو صلاة أو طعام وليقتصد في السؤال عن الحال والعيال وليعط المتصل عليه فرصة فيقال له: هل الوقت مناسب وليكن بين الاتصال والآخر فترة زمنية وحبذا أن لا ترد المرأة إلا لضرورة، وليت الأطفال يزجرون عن الهاتف لسوء تعاملهم معه ونحن بحاجة إلى أن نربي أنفسنا على تربية الإسلام المباركة، وفي سورة النور من هذا خبر ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾.

ما هكذا تورد الإبـــل

عجبت لكثير من طلبة العلم وهم منهمكون في التأليف وقد امتلأت المكتبات بالكتب في كل فن، وغالب التأليف مكرر ثقيل والناس لا يقرؤون منه إلا النادر، وليس في تأليف هؤلاء إضافة، فتجد بعضهم يؤلف في التفسير والحديث والفقه وهذه الفنون أوعبت فيها الأمة وملأت الدنيا بتكاليفها على مدى ألف سنة ولا يزال طلبة يبحثون إلى الآن عن مسائل معروفة في الغالب فيضعون في كل مسألة مجلداً ليضيع القارىء بين الحواشي والشروح فليتنا تدبرنا الكتاب والسنة وقرأنا المؤلفات القيمة وإن كان عندنا إضافة وضعناها أما هذا الإسهاب

والمحاكاة والتقليد في التأليف فهو قلة من الفقه ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾.

أحسن الناس حالاً

ما غبطت أحداً من الناس إلا رجلاً عابداً عنده ما يكفيه من القوت وقد انفرد عن الخلق لا تفوته تكبيرة الإحرام جماعة وهو ملازم للروضة خلف الإمام والمصحف، كثير الذكر، حسن الخلق، ومطعمه حلال، فذلك هو ملك الدنيا حقيقة لأنه طيب العيش هنا، حسن المنقلب هناك، أما عيشة غيره فهموم، وغموم، وأحزان، فصاحب المنصب خائف يترقب متى يسقط كرسيه وصاحب المال إنما هو خادم لماله في الحقيقة، وصاحب النساء معذب مفتون، وبقية الناس رعاع همج، فما بقي إلا من هذا حاله، وهو أحد رجلين: طالب علم تعلم وعمل وعلَّم فهذا رباني، وعابد على نور من الكتاب والسنة فهذا ولي صالح، والباقي لا شيء يذكر:

والنـــاس ألـــف منهـــم كـــواحـــد ... وواحـــد كـــالألـــف إن أمـــر عنـــا

كيف تعرف الناس؟

لا ينكشف حال الناس إلا عند مجاورتهم أو السفر معهم أو معاملتهم بالدرهم والدينار، فأنت إذا جاورت الرجل عرفت مقدار محافظته على المسجد وحسن خلقه وجميل عشرته وكفه لأذاه وكرمه وحلمه ونحو ذلك، وبالمقابل بان لك غدره وكذبه واستهانته بالصلاة

وبخله وسوء خلقه، وكذلك السفر يسفر عن أخلاق الرجال، والتعامل بالمال يظهر لك أخلاق الناس على حقيقتهم فإن المال فتنة وهو أسحر للقلوب من هاروت وماروت، فكم رأينا رجلا ناسكاً في الظاهر مظهراً للصلاح فلما تعامل الناس معه بالمال غلبه الطمع والجشع والحرص على المال حتى كذب وغشّ وغدر وأخلف الموعد، ثم اعلم أن الناس إخوانك حتى تطلب من أحدهم مالاً ولو قرضاً فإنك بعد هذه الفعلة تصبح ثقيلاً على قلبه ينفر عن مجالستك وزيارتك فوفر على الناس طلب ما عندهم أو خدماتهم ونفعهم فإنهم فقراء كلهم والله هو الغني الحميد.

أمرنا عجيب

نعتزل الناس ونخالط الكتب ونذكر الموت فتلين قلوبنا ويكثر خوفنا، ثم تقسو منا القلوب، ويضيع الزمان ويهدم ما بنيناه بالعزلة، نتخذ ورداً من القرآن والذكر فنداوم عليه فنجد الراحة والأمن والسكينة ثم نمل ونضجر ونسأم فنحوِّل إلى طريقة أخرى فيحصل القلق والاضطراب، نجتمع بالأصدقاء فنجد من الحسد والضجر والغيبة والتنافس ما يزعج الخاطر ويكدر القلب فنترك الأصدقاء فنجد من ألم الوحشة وهموم الغربة ما يشوش البال، نطلب الدنيا فيضيع الدين ويكثر الحلف واللغو وضياع العمر ونترك الدنيا فيغلبنا الدين والحقوق الواجبة والقيام على الأهل، نحسّن خُلقنا للناس ونفتح لهم قلوبنا فنكسب الثقلاء والحمقى والمزعجين، نجفو الناس ونأخذ بالحزم في

معاملتهم والحيطة في معاشرتهم فنجد العداء والمقت والتبرم منهم.

إذاً علينا بالتوسّط والاعتراف بأن هذه طبيعة هذه الدار فما لنا إلا الصبر حتى ينقضي العمر:

طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفواً من الأقذاء والأكدار
ومكلّف الأيام ضد طباعها ... متطلباً في الماء جذوة نار

فهم السياسة شيء والدخول فيها شيء آخر

لك أن تفهم السياسة وأن تعرف ما يجري لكن الدخول في السياسة لا يحسنه كل أحد ويظن بعضهم أنه إذا حذق في علم الشريعة صار عالماً بالسياسة وهذا خطأ فإن دهاقنة السياسة قد يكونون جهلة بالشريعة والمطلوب من طالب العلم الإلمام بالعلم الشرعي ومعرفة زمانه ومكانه وما يهم المسلمين، أما أن يشتغل بجزئيات السياسة وينهمك في شؤونها على حساب علمه فلا، فإن أئمة الإسلام وعلماء الملة كانوا بحوراً في الشريعة لكنهم اعتزلوا الحكم وما والاه والمناصب وأهلها، فراراً بدينهم وقد يوجد منهم من أنس من نفسه القدرة ففعل بحذر وهذا قليل نادر والحكم للغالب.

اتبع الدليل

طالب العلم يتبع الدليل كتاباً وسنة وهذا هو المنهج الوسط، وقد نبه إليه الإمام ابن تيمية في كتابه الاستقامة، فعلى طالب العلم أن لا يجرح الأئمة كما فعلت الظاهرية ولا يتعصب للمذهب بالهوى كما

فعل كثير من أتباع المذاهب بل يعود للدليل مع احترام أئمة الإسلام، وعلى طالب العلم أن لا يضيع نفسه بين كتب الفقه الهائلة بل يختار أجودها وأحسنها، وهي عندي أربعة: المغني والتمهيد والمحلى وفتح الباري، وعليه أن يتنبه للمحلى ففيه غرائب وشواذ، وفتح الباري من أجود كتب شرح الحديث وفيه آلاف المسائل الفقهية، ومن أراد أن يؤلف فعليه أن يعمد إلى شيء لم يسبقه أحد، مثل فقه النوازل وفقه أوتيه في القرآن والسنة، وتجارب سمعها وعرفها وذاقها، ونكات علمية استنبطها، أما هذا التكرار والإعادة فليس وراءه طائل.

كل يوم جزء

جرب كثير من الفضلاء معرفة أيام الشهر بأجزاء القرآن فالشهر ثلاثون يوما والقرآن ثلاثون جزءا ومن قرأ كل يوم جزءاً من القرآن بتدبر فقد أحسن وتوسط وعمل عملاً يمكن المداومة عليه مع ظروف العصر وكثرة المشاغل فأوصيك أن تنهج هذا المنهج في قراءة القرآن وداوم عليه لتتصل بهذا الكتاب المبارك، ولك أن تقرأ هذا الجزء مرة واحدة صباحاً أو مساء ولك أن توزعه على فترات مع الصلوات وبهذا تكون متصلا بكلام الله غير هاجر له لتختمه كل سنة اثنتي عشرة مرة بتدبر وتفكر واحرص على العمل بتعاليمه وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ليشفع لك عند الله، وقد أشار إلى قراءة الجزء كل يوم ابن حزم في رسائله وأحمد أمين وغيرهما وهو بالتجربة سهل نافع مبارك.

فتوى العامّة

تَعجب ممّن أفتى عاميًّا بذكر الأقوال في المسألة والخلاف ثم ذكر له القول الراجح وما دخل العامي في هذا الكلام وكيف يفهمه؟! فيا من أراد أن يفتي العوام اذكر لهم القول الصحيح الذي تعتقده ولا تخض معهم في قول فلان وفلان فإن أذهانهم لا تتحمل ومن الحكمة مخاطبة الناس على قدر عقولهم.

الوسط .. الوسط !

ما رأيت كالتوسط في الأمور وهو منهج الإسلام. والتشددّ في العبادة والانهماك في النوافل قتل لإشراق النفس وعاقبته الملل. والترك والكسل في العبادة والتقصير دليل على خسة النفس ورداءة الطبع، والتزين الكثير والتجمّل المسرف من أخلاق المرأة، والتبذل وكثرة التقشف وهجر الاعتناء بالمظهر من شيم سقط الناس، وبينهما وسط وهو لبس الطيب النظيف ومتابعة السنة وما عليه غالب الناس، والتبذير في النفقة أمر محرم مؤذن بمحق الرزق، والإمساك الشديد بخل مذموم داع لكل نقيصة، والوسط إنفاق في حق وقيام بواجب وحفظ المال من الضياع، ومخالطة الناس على الدوام ضياع للدين والقلب والوقت والعزلة الدائمة مؤديّة للوسواس والهموم وترك مناسبات الخير والوسط المخالطة فيما ينفع والحضور فيما يفيد والاعتزال عن كل محرم وعن كل فضول لا تنفع في الدين والآخرة وعلى ذلك فقس والعاقل شوكة

ميزان يُعطي كل مقام حقه والله الموفق.

القراءة التافهة

الانهماك في قراءة الصحف والإغراق في تصفح المجلات والولوع بالدوريات والنشرات الضحلة دليل على الإفلاس العلمي والجهل الثقافي فهذه القراءة الهشة المريضة لا تسمن لا تغني من جوع لأن أكثر ما يكتب في الصحف والمجلات غثاء كغثاء السيل، لغة سوقية صحفية مبتذلة وفكرة طاردة، وطرح ثقيل فملل وتكرار وبيل وفيه من قتل الوقت وضياعه ما يكفي خسارة، ثم إن هذه القراءة السامجة تظهر آثارها على لغة القارىء وكلامه ومصطلحاته فتراه إذا تحدث كأنه مذيع أو معلق رياضي، لأن تركيب عبارات القوم طغى على قاموسه فهو يظهر للجمهور أنه واع مثقف بزعمه ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ وهو في الحقيقة صفر من الأصالة العلمية مقفر من المعرفة الرائدة الرشيدة، فيا أيها القرّاء هلموا إلى الكتاب والسنة لتعيشوا الجلال والجمال والكمال ﴿ صِنۡوَانٌ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٍ يُسۡقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾ ثم أقبلوا على أسفارالجهابذة الرواد من أساطين الملة في المعرفة لتروا عيناً معيناً ﴿ يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ﴾ أما الصحف والمجلات فمن أراد قراءتها فليمر بعينيه على عناوينها العريضة مرور يد الطبيب على المريض:

يطأ الثرى مترفقاً من تيهه ... فكأنه آسي يجس عليلا

المهم الحقائق لا المسميات

لم يكن عند الصحابة رضي الله عنهم ألقاب تفخيم، فكان الواحد منهم يدعى باسمه أو بكنيته أو بالخلافة إذا كان خليفة، فيقال يا بلال يا أُبيّ، يا معاذ وهكذا، أما المتأخرون فصارت الألقاب والمباهاة سمة، فيقال الفقيه الحافظ النظار الواعظ وهكذا، والمهم الحقائق لا التسميات.

من سالم الناس يسلم من غوائلهم

أوصيك بمسالمة الناس والدفع بالتي هي أحسن حتى تعيش آمنا فإن من عادى الناس لا يصفو عيشه وسوف يعيش منغصاً مكدراً قلقاً فتراه مشغولا بمن عاداه يرصد له ويحذر منه والحياة أقصر من أن تصرف في مثل هذه العداوات والعاقل من كف أذاه عن إخوانه المسلمين واعتزلهم إلا من خير، وما أدري كيف يعيش من ناصبهم العداء فإن أول ما يخسره سكينة قلبه وراحة باله فهو يفكر في الانتقام منهم ويتفاعل بكلامهم حتى يذهب عمره سدى وما رأيت أنعم حالا من سليم الصدرمن الحقد والحسد وحب الانتقام فهو في عيش هنيء طيب ينام قريرالعين، ومسألة الأمن ليست الأمن على النفس والمال والعرض فحسب بل هي تزيد على ذلك بالأمن في النفس وراحة القلب، واجتهد في تفادي العداوات ما استطعت ولا تحتقر أحداً فتعاديه فإن البعوضة تدمي مقلة الأسد وربما انقلب الحال فعلا السافلُ

وترأس المعزول فشفى غيظه منك والوحي يناديك ادفع بالتي هي أحسن فإن استطعت أن تعفو عمن ظلمك وإلا فاهجره هجراً جميلاً لا أذى فيه واصرف تفكيرك في طاعة ربك وذكره وتلاوة كلامه والله أعلم.

وبضدها تتبين الأشياء

لابد للعلماء والشعراء والمؤلفات المتميزة من مضادة ومنادة حتى تشتهر وتذاع وتعرف، كما قال المتنبىء:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

وهذه سنة، وانظر في أحوال علماء الأمة وشعرائها الكبار ومؤلفاتهم المؤثرة، أما العادي فهو أقل من أن يصادم.

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستشهدون وهم شهود

جمع الحسنات

من عرف قصر العمر وبعد الطريق وهول المصير اجتهد في جمع الحسنات كل يوم وليلة، والعبد الصالح حريص على الأعمال الصالحة أشد من حرص التاجر على التجارة الرابحة، وهناك قائمة بأعمال تمر بالعبد كل يوم وليلة لو أنه أحضر نيته عند القيام بها لملأ ديوانه حسنات: كالتبسم في وجه المسلم، والكلمة الطيبة، والمصافحة، وإماطة الأذى عن طريق المسلمين، والمشي إلى الصلاة، والصدقة؛ ولو بالقليل، والتسبيحة، والتحميدة، والتكبيرة، والتهليلة، وأمثال

تلك الأعمال اليسيرة على العبد الثقيلة في ميزانه، وله الحمد سبحانه ما أرحمه أدخل امرأة بغيًّا الجنة لأنها سقت كلباً كاد يهلك من العطش، وأدخل رجلا الجنة لأنه أزال غصناً كان يؤذي الناس في طريقهم فيا من آمن بلقاء الله لن يشفق عليك أحد غيرك فارحم نفسك بجمع الحسنات وحفظ الأوقات ورفيع الدرجات ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾.

فائدة

اقتصد في نفقتك، واكسب الحلال، ومن خير الكسب التجارة والعقار واصرف جزءاً من وقتك في طلب المال من حله، لأنك بهذا تصون ماء الوجه وتحفظ العرض والدين، وأن تترك ذريتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس، والإسراف والبخل بينهما رتبة فاعتبر.

خاطرة

إذا أراد الله بعبد خيراً أيقظه من الغفلة، وبصره بعيوبه، وألهمه عبادته وحرك قلبه، فتجده خائفاً راجياً لوقته نادما على ما فرط في سنه، يبادر أنفاسه، ويستعد للقدوم على ربه، ويجمع زاداً للسفر الطويل ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾.

أيتها العير إنكم لسارقون

الخلسة الثقافية محرمة والأمانة العلمية واجبة ومن سرق ربع

دينار فصاعداً استحق قطع اليد، ومن سرق ربع نص فأكثر فقد استوجب قطع اللقب العلمي، وفي الناس من يستحل نهب جهود الآخرين استحلاله ماء الفرات، فتجد أن بعضهم من يعدو على شرح الحديث ليس له فيضيفه لشرحه موهماً أنه ابن بجدتها ومذكي جمرتها، ومنهم قليل الصبر على التخريج فيغير على تخريج لغيره فيقدم ويؤخر حتى يبعد عن نفسه التهمة ويغفل اسم المخرج الأول ظلماً وعدواناً، ومنهم من ينقل من كتاب عالم آخر بنصه وفصه في سياق كلامه حتى تظن أنه صاحب هذه الفتوحات وفاتح هذه المغلقات (ومن غشنا فليس منا).

ومنهم من يعمد إلى كتاب بأصله فيجعل عاليه سافله وأوله آخره ويمينه شماله وربما أدخل من كيسه بعض العبارات ثم يخرج الكتاب مسلوقاً محرفاً مشوهاً منسوخاً ممسوخاً ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ ومنهم من يستخدم في تأليفه آلة التصوير والمقص فيصور النقول والنصوص والشروح ثم يقص الألقاب والكنى والأسماء ويضع كنيته ولقبه واسمه.

حسِّن خلقك للناس

ما رأيت أملك للقلوب من حسن الخلق وما وجدت مثل الكلمة الطيبة مصيدة للنفوس، والسحر الحلال هو التبسم في وجوه الرجال فعود نفسك يا أخي البسمة عند اللقاء والكلمة الطيبة عند الحديث واحذف حفظك الله كلمات التجريح من قاموسك واشطب ألفاظ

السباب والشتم من دفتر أخلاقك لتعش سعيداً محبوباً ففي الحديث «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» واعلم أن كسب الناس فن يدرس ومادة تتعلم فاجتهد في جذب القلوب فإن هذا علامة القبول لتحصل على دعاء بظهر الغيب وثناء يكون عمراً ثانياً لك ومحبة أعظم من كنوز الدنيا وصداقة خيراً من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

هوية أجنبية

بعض الناس مع المسلمين بجسمه وليس معهم بقلبه معهم بالسكنى والوطن وليس معهم بالديانة والانتماء معهم في الظاهر وليس معهم في الباطن فممسوخ ديانة معاق فطرة مهزوم إرادة يعجبه الأجنبي ويستهويه الكافر عهده بالمسجد يوم كان طفلا وصلته بالمصحف يوم درس الابتدائية سافر للغرب سفرة قلبت دماغه وهزت كيانه وهزمت نفسه ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ إن تحدث فبلغة الأجنبي يردد كثيراً أسماء القوم ديكارت وكانت وشكسبير وفكتور هيجو وإن قص علينا ذكر قصة سفره إلى لندن وباريس ولوس أنجلوس أكبر شهادة له أنه مسلم في إثبات الهوية التي يحملها يسمع الأذان فلا يحرك فيه شعرة ولا يحدث له استجابة ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ وهو يدافع عن كل أجنبي ولا يقبل فيهم صرفاً ولا عدلاً يبرر تصرفاتهم، تعجبه حركاتهم ومقالاتهم، يهزه تاريخهم، يموت في حبهم ولكنه لم يأخذ منهم إلا القشور ولم يحذو حذوهم في الريادة الصناعية ولا في الاختراع العلمي والتفوق المادي فهو لم يدخل عالمهم العملي المنتج المخترع وإنما

وقف بالباب ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾.

فائدة

يقول صاحب فن الخطابة: العظمة هي قراءة الكتب بفهم، ومعنى كلامه أن أعظم ثروة هي المعرفة، وهي قيمة الإنسان فكلما نمت هذه المعرفة زادت قيمته وعلت درجته وغزر فهمه وإدراكه، وقد رأيت عبر التاريخ أناساً لا أنساب لهم ولا أموال ولا مناصب رفعتهم المعرفة، كالجاحظ وأبي حيان التوحيدي وابن قتيبة وابن خلدون.. وغيرهم.

صحيح الجامع الصغير

جزى الله الشيخ الألباني محدث العصر خيراً على كتابه الفذ الممتع صحيح الجامع فقد شفى وكفى وهذا الكتاب أصبح اليوم سميري ومحدثي وصقيل ذهني ورفيقي الخاص بعد القرآن لأنه صحيح إلا ما ندر ثم إنه جمع الصحيح من ثلاثين مصنفاً أو أكثر وهو مرتب على حروف المعجم وهذا أسهل طريق لكشف الحديث، ويوم تطالع هذا المصنف لا تمل أبداً لأنه ينتقل بك من موضوع إلى آخر ومن قضية إلى أخرى حتى كأنك في حديقة متنوعة الألوان والطعوم والأشكال وهو باختصار يجمع لك ما يحتاجه كل مسلم في دنياه وأخراه من حديثه ﷺ وهذا أجلُّ كتاب عندي للعلامة الألباني وهو زبدة مؤلفاته وتاج مصنفاته مع صغر حجم الكتاب وذكره لرمز المخرج

والصحابي وحكمه على الحديث.

كتاب: صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل؛ لأبي غدة

هذا الكتاب يشحذ الهمة على طلب العلم ويثير العزيمة وفيه من قوة الطرح وكثرة الشواهد ونصاعة الأسلوب ما يبهر القارىء، وفي زمن كساح الهمم وبرود العزائم نحتاج لهذا الكتاب فإن من قرأه برغبة قدح في قلبه شوقاً لا ينطفىء للعلم ورغبة ملحة للتحصيل، والمؤلف جود الأبواب وسرد القصص الآسرة من حياة السلف ودمجها بتعليقات ملهبة وشواهد شعرية جذابة ونكت من الطرح العجيب مع سعة دائرته في المراجع وقوة عرضه البلاغي فكان الكتاب بحق رسالة عاجلة وملحة لطلبة العلم أن يصبروا ويثابروا حتى يصلوا إلى المطلوب ويدركوا المرغوب ومن كان في شك من كلامي هذا فالرجاء مراجعة الكتاب والوقوف معه زمناً وليس الخبر كالمعاينة.

أسباب النجاح

١ ـ همة متوثبة ملتهبة عارفة لا تحد ولا توصف وهي التي تنقل صاحبها إلى الصفوف العليا في الناجحين ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾

٢ ـ صبر دائم وجلد مستمر من العطاء والحرص والمواصلة والدأب

«احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز».

٣ ـ ثبات في الطريق بلا تردد أو ارتباك أو توقف ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٤ ـ الانتصار على هوى النفس ورعونتها وتخذيلها وتسويفها وإحباطها وأمانيها ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾.

٥ ـ التفاؤل وانتظار المستقبل الزاهر وحسن الظن في الله عز وجل والنظر بإشراق إلى الغد والقضاء على التشاؤم وتخويف الشيطان وإرجافه. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾

٦ ـ عدم الاستسلام للفشل والخنوع عند العثرة أو الهزيمة عند الإحباط ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾.

رأي

أنا لا أعتبر أبا العلاء المعري حكيماً، لأنه لو كان حكيماً لنفع نفسه، وسعى في إنقاذها من عذاب الله وعقابه، وكيف يكون حكيماً وهو شاكٌّ في الرسالة، قادح في النبوة، معترض على الشريعة هازل بالدين.

فن تصعيب العلم

بعض الناس عنده قدره عجيبة في تصعيب العلم على الطلاب، فهو يُبْدِيء ويعيد دائماً في مشقة التحصيل وطول الطريق وبعد المثال

حتى يرى الطالب أنه ليس له حظ في هذا العلم ومن المستحيل أن يكون عالماً لأنه يسمع من هذا الشيخ أن من أراد أن يطلب العلم فعليه أن يتفرغ من كل شيء ولا يشتغل إلا بالعلم وعليه بالسهر لأن من طلب المعالي سهر الليالي وعليه بحفظ المتون وتكرارها دائماً وأبداً حتى ترسخ والجلوس في حلقات العلماء لشرح هذه المتون ومراجعة المسألة في كتب الفروع ومعرفة مصطلحات المؤلفين خاصة كتب الفقهاء المذهبية فيصبح طلب العلم عند الطالب أشق طريق ويرى أن أمامه شبحاً مخيفاً وهذه الطريقة غير صائبة ولا سديدة والله يقول: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ قال مجاهد: يسرنا العلم فهل من طالب علم. وكان السلف يطلبون العلم في يسر وسهولة بلا تشنج ولا تكلف وكان لهم مزارع وتجارة وأهل فأعطوا كل ذي حق حقه وتعلموا على طيلة السنوات حتى صاروا نجوماً يهتدى بها وإنني أعرف من أذهب ليله ونهاره في التحصيل والقراءة والحفظ وليس له إدراك ولا فهم ولم ينشر علمه فالمسألة فقه وعقل وقبل ذلك توفيق من الله عز وجل.

الفقـــه

لو صرف غالب الوقت في دراسة الفقه كان رأياً سديداً، فإنك لا تجد إلا من يسأل عن الفقه ويحتاج الفقه، وقد تمر بك سنوات ولا تسأل عن سند حديث، أو كلمة في اللغة أو بيت شعر، وانظر إلى كبار الفقهاء كالأئمة الأربعة كيف طبقوا الخافقين بذكرهم، لأن علمهم الفقه في الدين.